علم أصوات العربية بين الخليل وابن جني والمحدثين

The science of the sounds of Arabic between El Khalil, Ibn Jinni and the modernists

د. جاب الله بايزيد *

جامعة زيان عاشور بالجلفة (الجزائر)

jaballahbaizid@gmail.com

تاريخ الارسال: 31- 01- 2022	تاريخ التقييم: 20- 04- 2022	تاريخ القبول: 15- 06- 2022

الملخص: علم الأصوات عند العرب واحد من العلوم التي نشأت في القرن الثاني للهجرة مع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 ه) في معجمه " العين" وتلميذه سيبويه(ت 180 ه) في " الكتاب". وقد ازدهر هذا العلم مع ازدهار كثير من العلوم في القرن الرابع الهجري مع ابن جني(ت 392 ه) في كتابه " سر صناعة الإعراب " وقد حفلت كتب النحاة واللغويين وعلماء البلاغة والتجويد والحكماء بالكثير من الموضوعات الصوتية النظرية والتطبيقية. ونذكر في هذا الصدد كتبا كثيرة حوت جوانب من الدرس الصوتي وعنيت بمسائل تطبيقية متعددة نحو كتاب سيبويه وكتاب سر صناعة الإعراب لابن جني وكتاب رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا(ت 427 ه) ونحو ذلك من الكتب البلاغية لابن سنان الخفاجي(ت 466 ه) والرماني(ت 384 ه) وعبد القاهر الجرجاني(ت 471 ه) وابن الأثير(ت 630 ه). ويأتي كتاب "العين" للخليل بين أحمد الفراهيدي وكتاب " سر صناعة الإعراب" لابن جني في مقدمة الآثار المدونة التي شرعت لطوائف شتى من العلماء والباحثين طرائق الدرس الصوتي وفتحت المجال واسعا للمحدثين لعقد توأمة بين الدرس الصوتي العربي وما أنتجته الدراسات اللسانية الغربية الحديثة في علم الأصوات.

الكلمات المفتاحية: الأصوات؛ الخليل بن أحمد؛ ابن جني؛ ترتيب الحروف؛ المخارج.

Abstract : Phonology among the Arabs is one of the sciences that arose in the second century of Hijrah with Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi in his “Al-Ain” dictionary and his student Sibawayh in “Al-Kitab”. It is known that this century was

the century of the emergence of many Arab sciences. This science flourished with the flourishing of many sciences in the fourth century AH with Ibn Jinni in his book "The Secret of the Syntax of Expression."

The book "Al-Ain" by Al-Khalil Bin Ahmed Al-Farahidi and the book "The Secret of the Syntax of Expression" by Ibn Jinni come at the forefront of the codified antiquities that legislated for various sects of scholars and researchers the methods of the phonemic lesson and opened a wide field for the modernists to hold a twinning between the Arabic phonetic lesson and what was produced by modern Western linguistic studies in phonetics .

Keywords: sounds; Khalil bin Ahmed; ibn jenni; letter order; exits.

*المؤلف المراسل:

1- مقدمة:

لقد نشأ علم الأصوات عند العرب في القرن الثاني للهجرة ضمن الجو الحضاري الناهض عصرئذ، وكانت غاية هذا العلم عملية منذ البداية، إذ جعلت مبادئه ومعطياته أساسا لعلوم العربية من نحو وصرف ومعجم وغير ذلك من معارف أدبية ونقدية وبلاغية. ولقد كان الخليل بن أحمد رائد علم الأصوات عند العرب كما كان رائد علوم العربية بلا منازع. والخليل كما وصفه القدماء رجل لم ير مثله. وكان عقله أكبر من علمه. وكان له الفضل العظيم في إسداء تراثه الصوتي واللغوي لتلميذه سيبويه، إذ أن أغلب ما كتبه سيبويه كان من إملاءات الخليل. ولقد تبلور علم أصوات العربية وازدهر ازدهارا بليغا مع مؤلفات ابن جني في القرن الرابع الهجري خاصة في كتابه سر صناعة الإعراب الذي عد فتحا جديدا ونهضة عميقة في البحث الصوتي عند العرب، وقد استفاد منه استفادة علماء اللسانيات العربية في العصر الحديث. فإلى أي مدى يمكن اعتبار الخليل وابن جني رائدين في هذا المجال؟ وكيف استطاع المحدثون الاستفادة من جهودهما ومنهجهما في الدرس الصوتي؟

2. المبحث الأول: ترتيب الحروف بين الخليل وابن جني:

لما أراد الخليل أن يرتب الحروف الهجائية؛ حاول أن يكون ترتيبه لها بعيدا عن الترتيب الذي ابتدعه نصر بن عاصم الليثي (ت 90 ه)؛ مراعيا التشابه الخطي بين الحروف.

إذ أراد بهذه المحاولة أن يتجاوز الترتيب الأبجدي الموروث عن اللغات العربية السامية القديمة؛ لأنه لا يشير إلى قيمة صوتية تركيبية تعين على كشف خصائص الكلام العربي كما يبدو[1].

ولم يتوصل الخليل إلى هذه المحاولة إلا بعد تدبر وإعمال فكر ونظر؛ فقد اتجه بدءا من حروف (أ، ب، ت، ث)، فوجد أن الألف حرف معتل، لا يمكن الاعتماد عليه في الابتداء به، ثم انتقل إلى الحرف الباء، فوجده غير ممكن الابتداء به أيضا.

وعلى هذا، رأى أن يكون ترتيب الحروف مبنيا على مخارجها، فاعتمد ترتيبا جديدا مستمدا من المخارج من تلقاء نفسه؛ إذ إنه لما استند إلى ذوق الحروف؛ عرض أولا للترتيب الألفبائي، وأعرض عنه؛ لما تقدم، ثم نظر في الحروف على أساس صوتي منطوق، فكان ذواقه إياها، ثم وضعه لتسلسلها، بدءا من الحلق وانتهاء بالشفتين[2].

أي: إن الخليل اعتمد تسلسلا يبدأ من أعمق الحروف مخرجا في الحلق؛ وهو العين، ثم يتدرج إلى الأرفع فالأرفع حتى يصل إلى آخرها مخرجا في الشفتين؛ وهو الميم.

وبعد أن جرب الخليل هذا الذوق؛ أراد أن يكون ترتيب الحروف - حسب تجربته - على النحو التالي: (ع، ح، ه، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ث، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، همزة)[3].

فهو - إذن - يرى أن الحروف الهجائية تسعة وعشرون حرفا مع الهمزة، خمسة وعشرون منها حروف صحاح، واربعة منها حروف علة، وسماها: الحروف الجوف؛ وهي: الواو، والألف، والياء، والهمزة.

وقد علل لتسميتها بذلك فقال: "وسميت جوفا؛ لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة؛ إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"[4].

أما ابن جني فقد انتقد الخليل في ترتيبه للحروف؛ إذ إنه يرى أن يكون ترتيبها على النحو التالي: (ء، ا، ه، ع، ح، غ، خ، ق، ك، ج، ش، ي، ض، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و)[5]

وقال منتقدا الخليل: "فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها، وهو الصحيح، فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب، ومخالفة لما قدمناه آنفا، مما رتبه سيبويه، وتلاه أصحابه عليه؛ وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته"[6]

فابن جني في ترتيبه خالف الخليل، واقترب من ترتيب سيبويه، ورأى أن ما ذهب إليه في الترتيب هو الصحيح الذي يدعمه الكامل الواعي.

إلا أن ابن جني - في ترجيحه ترتيب سيبويه على ترتيب الخليل - خالف سيبويه قليلا؛ إذ قدم القاف على الكاف، في حين إن سيبويه قدم الكاف على القاف، كما رتب ابن جني الضاد فقدمها على الجيم.

ويمكن أن يلحظ الفرق بين ترتيب الخليل وترتيب ابن جني، وترتيب المحدثين للحروف الهجائية؛ من خلال الجدول الآتي:

الحرف	ترتيبه			الحرف	ترتيبه		
ألفبائيا	الخليل	ابن جني	المحدثون	ألفبائيا	الخليل	ابن جني	المحدثون
ا	27	2	-	ط	14	17	20
ب	24	27	27	ظ	17	23	25
ت	16	19	17	ع	1	4	3
ث	18	25	23	غ	5	6	7
ج	8	10	11	ف	23	26	26
ح	2	5	4	ق	6	8	5
خ	4	7	6	ك	7	9	8
د	15	18	18	ل	21	14	21
ذ	19	24	24	م	25	28	28
ر	20	15	13	ن	22	16	22
ز	13	21	14	و	26	29	9
س	12	22	15	ه	3	3	2
ش	9	11	12	ء	29	1	1
ص	11	20	16	ي	28	12	10
ض	10	13	19				

من خلال هذا الجدول، علم أن هذين العالمين الجليلين؛ لم يتفقا في ترتيب الحروف، إلا في حرف واحد فقط هو الهاء؛ إذ ورد في الترتيب الثالث عندهما.

ويلحظ على الخليل أنه اعتمد في ترتيبه الصوتي على تجربته الخاصة التي سماها (ذوق الحروف)؛ لكونه وسيلة للتوصل إلى تسلسل الأصوات من حيث المخرج، فكان يأتي بالحرف خالصا من أي حركة، بعد أن يفتح فاه بالألف، ثم يظهر الحرف؛ فيقول على سبيل المثال: أبْ، أتْ، أعْ، أغْ. [7]

كما يلحظ أن ابن جني اعتمد طريقة الخليل في ذوق الحروف، من غير أن يقول: إنها طريقة الخليل في ذوق الحروف؛ إذ رتب الأصوات حسب تتابع مواضع نطقها [8]، وهي المخارج من الحلق إلى الشفتين، وبين - كما سبق - أن ذلك هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها، ونص صراحة - كما سبق - على مخالفته الترتيب الخليل؛ وإن كان وافقه في عددها.

ويمكن القول: إن الخلاف بين الخليل وابن جني في ترتيب الحروف، جاء عن طريق ذوق الحروق عند كل منهما.

أما ترتيب المحدثين فهو أقرب إلى ترتيب ابن جني، كما يظهر جليا في الجدول، إلا أنهم لم يعدوا الألف من الصوامت.

3. المبحث الثاني: مخارج الحروف بين الخليل وابن جني:

قسم الخليل - كما سبق - الحروف الهجائية التسعة والعشرين إلى قسمين، قسم وصفها بأنها حروف صحاح، وقسم سماها الحروف الجوفية او الهوائية، أي: ليس لها مخرج محدد، فلا تخرج من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة، ولا من مدارج اللسان؛ بل هي في الهواء، فليس لها حيز تنسب إليه إلا الجوف.

أما الصحاح فقد قرر لها مخارج محددة، ثم جمع ما تقارب منها في القاب استمدها من أعضاء النطق.[9]

وعليه، فقد ذكر الخليل ثمانية مخارج الحروف الصحاح، ومخرجا واحدا للحروف الجوفية؛ أي: التي ليس لها حيز. وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

1- الحروف الحلقية:

ينسب الخليل إلى مخرج الحلق خمسة أحرف هي: العين، والحاء، والهاء، والخاء، والغين؛ لأن مبدأها من الحلق.[10] فهذه الحروف الخمسة لها حيزان: الأول: أقصى الحلق، ويخرج منه العين، ثم الحاء، ثم الهاء. أما الحيز الثاني فهو: أدني الحلق، ويخرج منه حرفان، هما: الخاء والغين. [11]

2- الحروف اللهوية:

يستخدم الخليل مصطلح اللهوية؛ للإشارة إلى المنطقة التي تنتج فيها القاف والكاف؛ إذ قال فيهما: "والقاف والكاف لهويتان؛ لأن مبدأهما من اللهاة".[12]

فالحروف اللهوية حرفان فقط - كما ذكر الخليل -.

3- **الحروف الشجرية:**

استخدم الخليل هذا المصطلح للإشارة إلى الحروف التي تنتج في منطقة الحناء الصلب، أو وسط الحنك، وهي ثلاثة أحرف: الجيم والشين والضاد. وسميت شجرية؛ لأن مبدأها من شجر الفم؛ أي: مفرج الفم.[13]

4- **الحروف الأسلية:**

تأتي الأسلية بعد الشجرية في تسلسل مخارج الحروف عند الخليل[14]، فقد وصف بها الخليل ثلاثة أحرف هي: الصاد والسين والزاي، وهي في حيز واحد؛ وسميت أسلية؛ لأن مبدأها من أسئلة اللسان؛ وهي مستدق طرف اللسان.[15]

5- **الحروف النطعية:**

يقصد الخليل بالحروف النطعية؛ الحروف التي يبدأ خروجها من نطع الغار الأعلى للفم؛ لأن النطع: ما ظهر من غار الفم الأعلى، وهي الجلدة الملتزقة بعظم الخليقاء، فيها آثار كالتحريز، وهناك موقع اللسان في الحنك، والنطع هو الغار الأعلى في الفم.[16]

فالحروف النطعية عند الخليل هي: الحروف التي تخرج من هذا الموضع [17]، وهي: ثلاثة: الطاء والتاء والدال.[18]

6- **الحروف اللثوية:**

ينسب الخليل إلى اللثة ثلاثة أحرف، هي: الظاء، والذال، والثاء، وسميت الثوية؛ لأن مبدأها من اللثة [19]، وتأتي هذه الحروف في حيز واحد.

7- **الحروف الذلقية:**

أما الحروف الذلقية؛ فيقصد بها الخليل الحروف التي تخرج من ذلق اللسان، وسميت ذلقا؛ لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان.[20]

يقول الخليل: "والراء واللام والنون ذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان؛ وهو تحديد طرفي ذلق اللسان"[21] فهي الحروف تأتي في حيز واحد.

8- **الحروف الشفوية أو الشفهية:**

ينسب الخليل إلى الشفة ثلاثة أحرف، هي: الفاء والباء والميم، وسميت بذلك؛ لأن مبدأها من الشفة.[22]

9- الحروف الهوائية أو الجوفية:

ينسب الخليل إلى الجوف والهواء أربعة أحرف، هي: الياء والواو والألف والهمزة، فهذه الحروف تخرج في حيز واحد، هو الجوف، وسميت جوفية أو هوائية؛ لأنها لا يتعلق بها شيء.[23]

هذه هي مخارج الحروف العربية جميعها كما وردت عند الخليل، ثمانية مخارج للحروف الصحاح، ومخرج واحد للحروف الهوائية أو الجوفية.

يقول الخليل عن هذه المخارج: "في العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة. والهمزة، وسميت جوفا؛ لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف، وكان يقول كثيرا: الألف اللينة والواو والياء هوائية؛ أي: أنها في الهواء".[24]

فالخليل قسم حروف العربية إلى مجموعات متقاربة اشتق أسماءها من أسماء المواضع التي تخرج منها الحروف، كما سبق الحديث عن ذلك.

أما ابن جني فقد تبع سيبويه في عدد مخارج الحروف [25] إذ إن ابن جني وزع الحروف على المخارج بدءا من الحلق وانتهاءا بالشفتين، فاجتمع لديه ستة عشر مخرجا.

والمخارج عنده مرتبة على النحو التالي[26]:

1- من أسفل الحلق وأقصاه؛ مخرج الهمزة والألف والهاء.

2- من وسط الحلق؛ مخرج العين والحاء.

3- مما فوق ذلك مع أول الفم؛ مخرج الغين والخاء.

4- مما فوق ذلك من أقصى اللسان؛ مخرج القاف.

5- من أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم؛ مخرج الكاف.

6- وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى؛ مخرج الجيم والشين والياء.

7- من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس؛ مخرج الضاد.

8- من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية؛ مخرج الكم.

9- من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا؛ مخرج النون.

10- من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا، لانحرافه إلى اللام؛ مخرج الراء.

11- مما بين طرف اللسان واصول الثنايا؛ مخرج الطاء والدال والتاء.

12- مما بين الثنايا وطرف اللسان؛ مخرج الصياد والزاي والسين.
13- مما بين طرف اللسان واطراف الثنايا، مخرج الظاء والذال والثاء.
14- من باطن الشفة السفلي وأطراف الثنايا العلي؛ مخرج الفاء.
15- مما بين الشفتين؛ مخرج الباء والميم والواو.
16- من الخياشيم؛ مخرج النون الخفية، ويقال: الخفيفة؛ أي: الساكنة.

فتبين أن ابن جني عمل مثل سيبويه في عدد المخارج؛ فقد وصل بها إلى ستة عشر مخرجا، وترسم طريقة سيبويه.

وبالمقارنة بين ترتيب الخليل لمخارج الحروف، وترتيب ابن جني؛ تظهر الأمور الآتية[27]:

1- الحروف الحلقية عند الخليل هي نفسها عند ابن جني، ولا فرق بينهما إلا في ترتيبها، وفي إدراج الهمزة والألف في الحروف الحلقية.

إذ إن الخليل رتبها على النحو التالي: العين، والحاء، والهاء، والخاء، والغين، ولم يدرج الهمزة والألف في الحروف الحلقية.

أما ابن جني، فقد قسم الحروف الحلقية إلى ثلاثة أقسام، هي: أقصى الحلق، ووسطه، وأدناه، وجاء ترتيبه للحروف الحلقية كالتالي: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، فجاء عدد الحروف الحلقية عند ابن جني سبعة [28] وذلك بعد الهمزة والألف، في حين أن الخليل جعلهما من الأحرف الجوفية التي لا حيز لها، فهذا حصل بين الخليل وابن جني فرق في عدد الحروف الحلقية.

2- الحروف اللهوية عند الخليل هي: القاف، والكاف، وهما من مخرج واحد هو اللهاة، أما ابن جني فيجعل القاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، فالقاف حرف لهوي [29]، وإن لم يذكر ابن جني (اللهاة)؛ فقد ذكر أنه فوق الغين والخاء من أقصى اللسان [30]، كما جعل الكاف من أسفل اللسان مع الحنك [31].

3- الحروف الشجرية عند الخليل هي: الجيم، والشين، والضاد، أما ابن جني فجعل هذه الحروف في وسط اللسان مع وسط الحنك[32].

والظاهر أنه لا فرق بينهما إلا في الاسم؛ لأن الشجرية نسبة إلى شجر الفم، وهو ما بين وسط اللسان، وما يقابله من الحنك الأعلى[33].

أما الخلاف بينهما فيكمن في الضاد، فالخليل يعدها من الحروف الشجرية، أما ابن جني فيها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس[34].

وقد قيل عن وصف القدامى للضاد: إنه كان وصفا دقيقا كافيا نوعا ما [35].

4- الحروف الأسلية عند الخليل هي: الصاد، والسين، والزاي، أما ابن جني فيجعل مخرجها من بين الثنايا وطرف اللسان[36].

والذي يظهر أنه لا خلاف بين الخليل وابن جني في مخرج هذه الحروف، إلا في التسمية؛ لأن الأسلية مصطلح يطلق على الحروف التي تخرج من أسلة اللسان[37] ، وهي مستدق اللسان، كما أنه لا فرق في العدد أيضا؛ فهي ثلاثة عندهما.

5- الحروف النطعية عند الخليل هي: الطاء، والدال، والتاء، أما ابن جني فسمى مخرجها طرف اللسان وأصول الثنايا[38].

فبالنظر في مصطلحي الخليل وابن جني يعلم أن هناك فرقا بينهما، فابن جني مصيب في تحديد مخرج هذه الحروف حينما حدد مخرجها بطرف اللسان وأصول الثنايا، وهي كذلك عند المحدثين[39].

أما الخليل؛ فقد جانبه الصواب في تحديد مخرج هذه الحروف، حينما حددها بنطع الغار الأعلى من الفم[40].

6- الحروف اللثوية عند الخليل هي: الظاء، والثاء، والذال، أما ابن جني فيرى أن مخرج هذه الحروف هو طرف اللسان مع أطراف الثنايا [41].

ولم يوفق الخليل في تحديد مخرج هذه الحروف باللثة؛ يقول إبراهيم أنيس: "أما تسمية الذال والثاء والظاء بالحروف اللثوية، فاصطلاح عجيب، فلا ندري أن اللثة لها أي دخل في صدور هذه الحروف أو النطق به".

7- الحروف الذلقية عند الخليل هي: الراء، واللام، والنون، أما ابن جني فقد اختلفت مخارج هذه الحروف عنده.

يقول عن مخارجها: "ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية، مخرج اللام، ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا، مخرج النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا، لانحرافه إلى اللام، مخرج الراء[42].

وبالنظر في مخارج هذه الحروف عند ابن جني، وفي مخرجها عند الخليل؛ يعلم أنه ليس هناك فرق بينهما في تحديد المخرج؛ لأنها - في وصف ابن جني - ميل بعضها ببعض؛ ولأن الذلاقة في النطق إنما هي بطرف اسلة اللسان[43].

8- الحروف الشفوية عند الخليل هي: الفاء، والباء، والميم، أما ابن جني أقر هذه الأحرف الثلاثة، ثم زاد عليها الواو المتحركة؛ أي: غير المد.

كما أن ابن جني يصف الفاء بأنها أسنانية شفوية؛ لأن الثنايا العليا تضغط على باطن الشفة السفلي عند النطق بالفاء، بخلاف الخليل؛ فإنه سماها شفوية، من دون أن يضيف إليها أسنانية.

9- الحروف الجوفية أو الهوائية عند الخليل هي: الواو، والألف، والياء، والهمزة، أما ابن جني فخالف الخليل في ذلك؛ إذ عد الهمزة والألف من حروف الحلق، فهو يرى أنهما يخرجان من أقصى الحلق وأسفله، وبذلك يرى ابن جني أن هذين الحرفين يدخلان في تعداد الحروف الصحاح، لا في الجوفية أو الهوائية كما يرى الخليل.

ومثلهما الواو والياء، فقد جعل ابن جني الواو من حروف الشفتين، والياء من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى[44].

أما عن بيان الفروق التي تحصل بين وصف المحدثين للحروف ووصف الخليل؛ فيمكن القول فيه بالآتي:

أولا: مجال الاتفاق بين الخليل، وبين المحدثين في ترتيب الحروف ومخارجها أوسع من مجال الخلاف.

ثانيا: كثير من نقاط الخلاف بين الخليل والمحدثين يمكن التغاضي عنها وإهمالها؛ وذلك لشدة التقارب والتداخل بين مخارج النطق؛ إذ ليس هناك حدود فاصلة فصلا تاما بين هذه المخارج، ومن ثم فمن الجائز أن تنسب مجموعة من الأصوات إلى مخرج معين، وينسبها آخر إلى مخرج آخر قريب منه أو متصل به، أو متداخل معه[45].

ثالثا: أن الخلاف بين وصف الخليل ووصف المحدثين قد يكون راجعا إلى الخلاف في المصطلح الذي أطلقوه على بعض الحروف. وهذا ملحوظ في كثير من المخارج؛ إذ إنهم يتفقون في الوصف، ويختلفون في المصطلح أو التسمية.

أما عن الخلاف بين الخليل وابن جني والمحدثين فيمكن إيجازه فيما يلي:

1- أن الخليل حصر الأصوات الحلقية في خمسة أحرف، هي: العين، والحاء، والهاء، والغين، والخاء [46]، وابن جني جعلها سبعة، هي: الهمزة، والألف، والهاء، العين والحاء، الغين، والخاء. أما المحدثون؛ فجعلوها حرفين فقط، هما: العين، والحاء [47].

وعلى هذا، يعلم أن المحدثين لم ينكروا الهمزة والهاء والألف؛ لأن الهمزة والهاء عندهم تخرجان من الحنجرة[48] ، أما الألف فجعلوها من الحركات الطويلة[49].

وأما الغين والخاء، فجعلوا مخرجهما من أقصى الحنك، بالإضافة إلى الكاف والواو[50]

وقد اعتذر كمال بشر لعمل القدامى - كالخليل وابن جني - في حصر الحروف الحلقية فيما قالوه، وعلل لذلك بأن يكون أحد شيئين [51]:

أحدهما: أن القدامى ربما أخطأوا في ملاحظة الأحرف الحلقية؛ فلم يستطيعوا أن يفرقوا بين مخارجها بدقة.

والآخر: لعل القدامى أطلقوا الحلق على منطقة أوسع من تلك المنطقة التي نسميها اليوم بالحلق، والمحصورة بين الحنجرة وأقصى الحلق؛ أي: ربما أطلقوا المصطلح (الحلق) على تلك المنطقة الكبيرة التي تشمل: الحنجرة، والحلق، وأقصى الحنك، وذلك من باب التوسع والمجاز.

والظاهر أن التوجيه الأخير هو الصواب؛ لأن التفصيلات الدقيقة لأعضاء النطق لم تكن واضحة لديهم؛ فاكتفوا بذكر المنطقة الكبيرة التي تشمل ذلك كله، وقد يكون أنهم كانوا على علم بالتفصيل البارز للأعضاء؛ بدليل أن بعضهم يقول: أقصى الحلق، أو أسفله إلخ.

2- أن أحرف اللهاة عند الخليل حرفان فقط، هما: القاف، والكاف، ووافقه ابن جني في كون القاف فقط هي اللهوية، وإن لم ينص على لفظ اللهاة.

أما المحدثون[52] فوافقوا الخليل وابن جني في مخرج القاف، فقالوا: إنها الهوية، وأما الكاف فإنها من أقصى الحنك[53] وإن كان وصف المحدثين لمخرج الكاف لا يختلف عن وصف ابن جني لها؛ بدليل أنه ربط صفة الكاف بها حين وصفها بأنها أدني من القاف إلى مقدم الفم، وهي كذلك[54].

وقد يعذر الخليل وابن جني فيما ذهبا إليه؛ لأن هذين الحرفين مخرجهما قريبان، ولا يوجد هناك حدود تفصل بينهما فصلا تاما.

3- يرى الخليل أن الجيم، والشين، والضاد، هي الأحرف الشجرية؛ في حين يرى ابن جني أن الجيم، والشين من وسط اللسان؛ وهذا يوافق ما يراه كثير من المحدثين اليوم [55]، وأما الضاد - عنده؛ أي: ابن جني - فتخرج من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس.

أما المحدثون فيقولون: إن الجيم، والشين حرفان لثويان حنكيان؛ كما يرون أن الضاد حرف أسناني لثوي [56]، وهذا هو محل الخلاف بين الخليل والمحدثين؛ إذ إنه رفع مخرجها إلى الحنك الصلب، ولعل هذا الاختلاف يعود إلى مفهوم مصطلح الخليل شجر الفم الذي قد يشمل اللثة أيضا[57].

وقال بعضهم عن وصف القدامى للضاد: إنه كان وصفا حسنا نوعا ما[58].

4- جعل الخليل الصاد، والسين، والزاي، حروفا أسلية، ومثله فعل ابن جني؛ إذ جعلها جميعا من مخرج واحد هو: ما بين الثنايا وطرف اللسان.

أما المحدثون فيجعلون مخرجها اللثة، ولذا سموها: لثوية، وأضافوا إليها الراء [59].

وبناء على هذا؛ يمكن القول بأن رأي الخليل ورأي المحدثين في مخرج هذه الأصوات الثلاثة، يكادان يتفقان؛ لأن مصطلح الأسلية يعادل اللثوية الأسنانية في

المفهوم الحديث، فهذه الحروف تنتج باعتماد طرف اللسان ضد اللثة، أو الأسنان العليا[60].

ويبدو أن الخليل لم يوفق في نسبة هذه الأصوات إلى اللسان (طرفه أو ذلقه)، وكان الأجود أن ينسبها إلى اللثة؛ صحيح أن اللسان يلعب دورا كبيرا في إنتاجها، إلا أن مخارج الأصوات لا تصنف وفقا للسان في المفهوم الحديث[61].

5- أما الحروف التي تخرج من النطع عند الخليل، فهي الطاء، والدال، والتاء، وقد جعلها ابن جني مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا.

في حين وافق المحدثون ابن جني في وصف مخرج هذه الأحرف الثلاثة فقالوا: إنها أسنانية لثوية، وذكروا أن الدال هي الصوت النظير المجهور للتاء، وأن الطاء تتكون كما تتكون التاء، إلا أنها تخالفها في الإطباق[62]؛ وعليه يمكن القول: بأن وصف ابن جني أصوب وأدق من وصف الخليل.

إلا أن المحدثين خالفوا ابن جني في عدد هذه الأحرف اللثوية الأسنانية؛ إذ إنهم أضافوا إليها الضاد، واللام، والنون.

ويختلف الخليل مع المحدثين في تحديد مخارج هذه الأصوات، فهي حديثا أسنانية لثوية، تنتج عندما يرتفع طرف اللسان تجاه الثنايا العليا أو اللثة؛ في حين أن الخليل ارتفع بها إلى منطقة الحنك الصلب[63].

6- وقد نص الخليل على أن الحروف اللثوية هي: الظاء، والثاء، والذال، أما ابن جني فيرى أن مخرج هذه الحروف هو طرف اللسان مع أطراف الثنايا.

أما المحدثون فقالوا: إن هذه الثلاثة أسنانية، أو مخرجها ما بين الأسنان[64].

وعليه يمكن القول: إن الخليل يختلف مع المحدثين في تحديد مخارج هذه الأصوات، فهي حديثا تنتج عندما يكون طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى، فهي أصوات ما بين الأسنان، ولا يمكن أن تكون لثوية[65].

وعليه يرى المحدثون أن الخليل جانبه الصواب في وصف مخرج هذه الحروف، وهذا هو الظاهر في الكلام السابق.

7- وأما الفاء، والميم، والباء فشفوية كلها عند الخليل، وكذا عند ابن جني إلا أنه فرق بين الفاء، وبين الميم والباء؛ فقد جعل الميم والباء شفويتين خالصتين، فهما تخرجان عنده من بين الشفتين، أما الفاء فجعلها أسنانية شفوية.

أما المحدثون فوافقوا ابن جني في وصف هذه الحروف الثلاثة، فالحروف الشفوية عندهم حرفان فقط هما: الباء والميم، في حين جعلوا الفاء شفوية أسنانية[66].

ولم يختلف المحدثون مع الخليل في استخدام هذا المصطلح، ولا في نسبة الأصوات إليه، إلا في وصف الفاء، فذهبوا مذهب ابن جني، في وصفها بأنها أسنانية شفوية[67].

8- أما الواو، والياء، والألف، والهمزة، فهوائية عند الخليل، وله في الهمزة قولان:

الأول: أنها هوائية؛ إذ قال: "الألف والواو، والياء، في حيز واحد، والهمزة في الهواء، لم يكن لها حيز تنسب إليه"[68].

الثاني: أنها حلقية؛ إذ قال: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق" [69]، فأثبت لها الخليل مخرجا، وهذا أحد قوليه في هذا الحرف وبين النصين تناقض، ولعل طريقة الخليل في تذوق الأصوات هي التي سببت هذا الاضطراب مع الهمزة وتصنيفها مع الصوائت، فقد كان يفتح فاه بالهمزة، ثم يظهر الحرف، أي: يأتي به ساكنا نحو: أب، اب الخ وعندما اراد نطق الهمزة جاء بهمزتين، الأولى: الهمزة التي يأتي بها مع أي حرف، والثانية: الهمزة التي يريد الطها، وإن اجتماع همزتين متتاليتين أمر فيه ثقل على اللسان، لذا حول الهمزتين إلى همزة ممدودة، وهذه الهمزة في الواقع أ + ألف، وإن الخليل عندما نطق الهمزة أحس بحرية الهواء مع الجزء الثاني الذي هو الألف (الألف الطويلة) وليس الهزة. [70].

أما ابن جني فيجعل الواو من الحروف الشفوية، والياء من حروف وسط اللسان، والألف والهمزة من حروف أقصى الحلق.

وأما المحدثون فيقولون: إن الياء تخرج وسط الحنك، والواو تخرج من أقصى الحنك، والهمزة من الحنجرة[71]

ويرى بعضهم أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق[72]، موافقا ما عليه العلماء العرب القدامى، كسيبويه وابن جني.

أما الألف فالذي عليه الخليل، والمحدثون أنه من الصوائت، وهو الذي ذكره ابن جني عند حديثه عن الحركات الطويلة.

وبالنظر في هذه المقارنة؛ يعلم أن المحدثين وافقوا ابن جني في أكثر وصفه المخارج الحروف، كما وافقوا الخليل في أمور كثيرة، يرجع أغلبها إلى إطلاق التسمية أو المصطلح، فالخليل يستعمل عموم المنطقة لوصف مخرج الحرف، فيقول: حلقي، شجري لثوي، إلخ.

أما المحدثون فيلتزمون النسبة إلى موضع النطق من الفم، ولذلك كان تحديدهم ووصفهم للمخارج أدق من وصف القدامى.

كما أن المحدثين فضلوا وصف ابن جني على وصف الخليل وتلميذه سيبويه، يقول كمال بشر: وقد تكلم الكثيرون منهم عن هذه المخارج، منهم: الخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم، ونحن نلاحظ أن هناك اضطرابا واضحا في كلام الخليل، عند مناقشة هذه النقطة، وبالرغم من الدقة النسبية في ترتيب سيبويه للأصوات وتوزيعها على مخارجها؛ فنحن نفضل ما أتي به ابن جني في هذا المقام؛ لتفوقه على سيبويه في هذه المسألة، بالإضافة إلى أن ما أتي به سيبويه هو في حقيقة الأمر الأساس الذي بني عليه ابن جني عمله في هذا الشأن"[73].

كما يلحظ على ابن جني تأثره بطريقة الخليل في ترتيب الأصوات ترتيبا تصاعدا؛ أي: أنه يبدأ من أقصى الحلق إلى الشفتين.

أما المحدثون فالترتيب عندهم يخالف ترتيبهما؛ إذ يبدأ ترتيبهم من الشفتين راجعا إلى الخلف حتى الحنجرة[74]

ويمكن أن يلحظ الفرق في مخارج الحروف بين الخليل وابن جني والمحدثين في الجدول الآتي:

المخارج عند الخليل		المخارج عند ابن جني		المخارج عند المحدثين	
المخرج	الحروف	المخرج	الحروف	المخرج	الحروف
الحلقية	ع، ح، خ، غ	أقصى الحلق	ء، ا، هـ	شفوية	ب، م
اللهوية	ق، ك	وسط الحلق	ع، ح	أسنانية شفوية	ف
الشجرية	ج، ش، ض	أدني الحلق	غ، خ	أسنانية	ث، ذ، ظ
الأسلية	ص، س، ز	أقصى اللسان (الحنك)	القاف	أسنانية لثوية	ت، د، ض، ط، ل، ن
النطعية	ط، د، ت	أسفل من أقصى اللسان	الكاف	لثوية	ر، ز، س، ص

اللثوية	ظ، ذ، ث	وسط اللسان	ش، ج، ي	لثوية حنكية	ج، ش
الذلقية	ر، ل، ن	حافة اللسان والأضراس	ض	وسط الحنك	الياء
الشفوية	ف، ب، م	حافة اللسان وطرف الأسنان	ل	أقصى الحنك	خ، غ، ك، و
الجوفية	و، ا، ي، ء	طرف اللسان وما فوق الثنايا	ن	لهوية	ق
		ظهر اللسان (أدخل)	الراء	حلقية	ع، ح
		ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا	ط، د، ت	حنجرية	ه
		ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا	ص، ز، س		
		ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا	ظ ذ، ث		
		باطن الشفة السفلي وأطراف الثنايا العليا	ف		
		ما بين الشفتين	ب، م، و		
		الخياشيم	ن الخفيفة		

4. خاتمة:

وبعد فهذا أنموذج من المقارنة بين الخليل وابن جني والمحدثين توصلنا من خلاله إلى النتائج الآتية:

1- أن ابن جني أفاد كثيرا من المسائل الصوتية من إمام النحاة سيبويه، وسيبويه تلميذ للخليل، وقد ظهر لنا من خلال هذه الدراسة أن ابن جني أفاد بعضا من مباحثه الصوتية من كتاب العين للخليل، مما يدل على رسوخ الخليل في علم الأصوات، وأنه ذكر أشياء كثيرة في الدراسات الصوتية جاء المحدثون وأثبتوها بعده واستفادوا منه.

2- أن ابن جني انتقد الخليل في ترتيبه للحروف، وابتدع ترتيبا قريبا من ترتيب سيبويه، ورأى أن ما ذهب إليه في الترتيب هو الصحيح.

3- أن الخلاف بين الخليل وابن جني في ترتيب الحروف ناتج عن كيفية ذوق الحروف عند كل منهما، إلا أن ترتيبها عند ابن جني أقرب إلى المحدثين من ترتيب الخليل.

5.الهوامش والاحالات:

[1]- مهدي المحزومي: الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه. دار الرائد العربي. بيروت 1986 ص 99.

[2] - أحمد محمد قدور: أصالة علم اللغة عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين. دار الفكر. دمشق 2007 ص 24.

[3] - الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين. تح: ؟؟؟؟؟ دار الكتب العلمية. بيروت 1988 ص48/1.

[4] - نفس المصدر ص 57/1.

[5] - ابن جني أبو الفتح عثمان : سر صناعة الإعراب. تح: ؟؟؟؟؟ دار الكتب العلمية. بيروت 2000 ص 59/1.

[6] - نفس المصدرص 59/1.

[7] - العين ص 47/1.

[8] - سر صناعة الإعراب ص 19/1.

[9] - أصالة علم اللغة عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين ص 35.

[10] - العين ص 58/1.

[11] - أصالة علم اللغة عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين ص 36.

[12] - العين ص 58/1.

[13] - نفس المصدر ص 58/1.

[14] - قاسم البريسم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة. دار الكنوز الأدبية. بيروت 2005. ص 120.

[15] - العين ص 58/1.

[16] - ابن منظور: لسان العرب. دار النفائس. الرياض 1997 ص 210/7.

[17] - ناجح عبد الحفيظ مبروك: الأصوات اللغوية في لسان العرب في ضوء دراسات علم اللغة الحديث. دار الكتب العلمية. بيروت 1982 ص 57.

[18] - العين ص 58/1.

[19] - نفس المصدر ص 58/1.

[20] - لسان العرب ص 145/3.

[21] - العين 58/1.

[22] - نفس المصدر 58/1.

[23] - نفس المصدر ص 58/1.

[24] - نفس المصدر ص 57/1.

[25] - سيبويه : الكتاب. تح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة 1988 ص 433/4.

[26] - سر صناعة الإعراب ص 60/1.

[27] - الأصوات اللغوية في لسان العرب في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ص 26- 28.

[28] - سر صناعة الإعراب ص 60/1.

[29] - نفس المصدر ص 62/1.

[30] - حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني. دار الرشيد. العراق 1980 ص 305.

[31] - كمال بشر: علم اللغة العام. دار المعارف. القاهرة 1986 ص 109.

[32] - سر صناعة الإعراب ص 60/1.

[33] - صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة العربية. دار الكتب العلمية. بيروت 1962 ص 223.

[34] - سر صناعة الإعراب ص 60/1.

[35] - جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية. الدار العربية. تونس 1966 ص85.

[36] - سر صناعة الإعراب ص 60/1.

[37] - الأصوات اللغوية في لسان العرب في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ص64.

[38] - سر صناعة الإعراب ص 60/1.

[39] - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 309.

[40] - الأصوات اللغوية في لسان العرب في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ص 64.

[41] - سر صناعة الإعراب ص 61/1.

[42] - سر صناعة الإعراب ص 60/1.

[43] - الأصوات اللغوية في لسان العرب في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ص 67.

[44] - سر صناعة الإعراب ص 60/1.

[45] - علم اللغة العام ص 64.

[46] - العين ص 52/1.

[47] - علم اللغة العام ص 90.

[48] - عبد المنعم النجار: الصوت اللغوي عند القدامى والمحدثين. دار الطباعة المحمدية. مصر2000 ص 225.

[49] - علم اللغة العام ص 148.

[50] - علم اللغة العام ص 90.

[51] - علم اللغة العام ص 123.

[52] - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 305 – 307.

[53] - علم اللغة العام ص 90.

[54] - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 308.

[55] - علم اللغة العام ص 91.

[56] - علم اللغة العام ص 89.

[57] - علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة ص 120.

[58] - دروس في علم أصوات العربية ص 85.

[59] - علم اللغة العام ص 89.

[60] - علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة ص 120.

[61] - نفس المرجع ص 120.

[62] - علم اللغة العام ص 89.

[63] - علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة ص 121.

[64]- علم اللغة العام ص89.

[65] - علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة ص 121.

[66] - علم اللغة العام ص 89.

[67] - علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة ص 121.

[68] - العين ص 58/1.

[69] - نفس المصدر ص 52/1.

[70] - علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة ص 115.

[71] - علم اللغة العام ص 90.

[72] - دروس في علم أصوات العربية ص 123.

[73] - علم اللغة العام ص 90.

[74] - نفس المرجع ص 93.

6. قائمة المراجع:

[1] - أحمد محمد قدور. (2007). أصالة علم اللغة عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكر، دمشق.

[2] - جان كانتينو. (1966). دروس في علم أصوات العربية. الدار العربية، تونس.

[3] - ابن جني أبو الفتح عثمان. (2000). سر صناعة الإعراب. دار الكتب العلمية، بيروت.

[4] - حسام سعيد النعيمي. (1980). الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني. دار الرشيد، العراق.

[5] - الخليل بن أحمد الفراهيدي. (1988). العين. تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار الكتب العلمية، بيروت

[6] - سيبويه ,أ .ع .(1988) .كتاب سيبويه . تح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة.

[7] - صبحي الصالح. (1962). دراسات في فقه اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت.

[8] - عبد المنعم النجار. (2000). الصوت اللغوي عند القدامى والمحدثين. دار الطباعة المحمدية، مصر.

[9] - قاسم البريسم. (2005). علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة. دار الكنوز الأدبية، بيروت.

[10] - كمال بشر. (1986). علم اللغة العام (الأصوات). دار المعارف، القاهرة.

[11] - ابن منظور. (1997). لسان العرب. دار النفائس، الرياض.

[12]- مهدي المخزومي. (1986). الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه. دار الرائد العربي، بيروت.

[13] - ناجح عبد الحافظ مبروك. (1982). الأصوات اللغوية في لسان العرب في ضوء دراسات علم اللغة الحديث. دار الكتب العلمية، بيروت.